مدرسي اللغة العربية ، من تهكم العقاد وسخريته في هذا المقال ؛ لأن واحداً منهم كتب ينقده ويحاول ردَّه إلى الصواب فيما رآه أخطأ فيه ... !

وكتب مخلوف مقاله الثاني يردّ مطاعن العقاد ، ويتمم ما بدأ في نقد وحي الأربعين ؛ ولكن المقطم أغلقت دونه الباب ولم تنشره ، كرامة للعقاد وحرصاً على مودته ...

وغضب مخلوف وتألم ، ولكنه طوى صدره على ما فيه ...

وكنا جماعةً من مدرسي اللغة العربية نصلي الجمعة كل أسبوع في مسجد المنشاوي بطنطا ، فلقينا هناك مخلوف ؛ فما رآه المدرسون حتى انهالوا عليه وركبوه بالعتب القاسي ، وكلهم قرأ مقال العقاد في الطعن على مدرسي اللغة العربية بسبب مخلوف ، وما منهم من قرأ مقال مخلوف إلا قليل . وحاول مخلوف أن يعتذر ، ولكن اعتذاره ضاع بين ضجيج إخوانه وحملتهم عليه فلم يستمع له أحد !

وقلت للرافعي مازحاً وقد لقيته بعد ذلك : « لقد كنت أنت السبب فيما نال مخلوفاً من إخوانه ، وفيما نال مدرسي اللغة العربية من لسان العقاد ؛ فأنت الذي هِجْتَ مخلوفاً إلى هذه المعركة ، فانتهت إلى ما انتهت إليه بينه وبين إخوانه ؛ وكانت سبباً فيما كتب العقاد عن دار العلوم ومدرسي اللغة العربية ... »

وكان لمخلوف عند الرافعي منزلة ، ولدار العلوم في نفسه مكان . ولكنه أجابني : « وما ذا عليَّ أنا فيما كتب مخلوف ، وفيما ردّ العقاد ؟ »

قلت : « لولاك لم يكتب مخلوف فيتعرض لما تعرض له من لسان العقاد ومن عتب إخوانه . ولولا ما كتب مخلوف لبقيت دار العلوم بريئة من العيب لم يطعن فيها العقاد ولا غير العقاد ! »

وتعمدت فيما قلت — ومعذرة إلى الأستاذ العقاد — أن أهيج الرافعي للكتابة عن العقاد ، فيشهد أدباء العربية معركة جديدة بين الأديبين الكبيرين يكون لهم من ورائها نفع ومتاع ولذة ... وبلغت ما قصدت إليه ، ووعد الرافعي بأن يكتب ما في نفسه من ديوان وحي الأربعين ، ولكن على شرط : أن أشترى له نسخة على حسابي من الديوان ، لأن عليه قسماً من قبل ألا يدفع قرشاً من جيبه في كتاب من كتب العقاد ... !

ونفّذت الشرط ، وتهيأ الرافعي للكتابة عن وحي الأربعين ؛ ومضت أيام ، ثم دعاني ليملي عليّ مقاله الأول في نقد وحي الأربعين

« شبرا » محمد سعيد العريان

من برجنا العاجي

كنت أشكو ذات يوم عسراً في الهضم وقلة في النوم ، وأضيق ذرعاً بالأدب والأدباء ، وإذا بزائر أديب يلح في طلب رؤيتي ولا يريد أن ينصرف حتى يجاب إلى ما طلب . وعلمت أنه ممن لم يسبق لهم أن رأوني ؛ فخطر لي خاطر سريع : ناديت تابعاً لي وأجلسته إلى مكتبي وطلبت إليه أن يقابل الزائر باسمي ، وانتحيت أنا جانباً أقرأ إحدى الصحف . ولم يلبث الزائر أن دخل وسلم على تابعي في احترام قائلاً :

— يا أستاذ ! إني سعيد جداً إذ استطعت أن أراك . فأنا من قرائك المدمنين ، اقتنيت كل كتبك ، وطالما رسمت لك في مخيلتي صورة أراها الآن طبق الأصل ... فالحمد لله لم يخب ظني في شيء . إني أراك الآن كما تخيلتك بين سطورك

فطرحت من يدي الصحيفة ونظرت إلى الرجل محملقاً . أهذا الرجل جاد صادق ؟ لاشك عندي في ذلك ، فكلامه مفعم بالحرارة والاخلاص ، ولكن كيف انطبقت تلك الصورة «طبق الأصل» على غير « الأصل » بهذه السهولة ؟ ! وجعل هذا الزائر يكثر من ترديد اسمي ويسبغه في اقتناع على سكرتيري الجالس إلى مكتبي ، فشعرت بخلجة من شك هزت نفسي . ماذا بقي مني إذن ؟ هذا هو « توفيق الحكيم » إلى مكتبه كما يعتقد الآن هذا الزائر ، وتلك صورته كما ظهرت له من بين السطور . أما أنا فشيء لا علاقة له بهذا الرجل ولا بما قرأ . إسمي قد انفصل عني وانتزع مني في تلك اللحظة كما تنتزع الأمضاء عن « الكمبيالة » . وما أنا في تلك الساعة إلا كتلة من لحم ودم ملقاة على مقعد ! وقد خيل إليّ أن لفظ « توفيق الحكيم » ليس أكثر من « ماركة » توضع فوق كتب ، مثل ماركة « الفابريكة » فوق علب « السردين » . إن بعض « الأسماء » لتتخذ لها أحياناً حياة مستقلة عن أصحابها . وهذا « الاسم » هو وحده الذي يباع ويشرى في سوق المكاتب والوراقين ، ولدى الصحف والمجلات ؛ أما الشخص فقد لا يعني أمره كثيراً من الناس . ولأول مرة أدركت أني غير موجود في نظر الجمهور باعتباري « شخصية آدمية » ؛ إنما الذي يعاملونه هو « الشخصية المعنوية » ، فمثلي في ذلك إذن مثل شركة « النور » و « الغاز » و « المياه »

توفيق الحكيم